٨

هيكل.. ورجال الثورة!!

في سلسلة حلقاته والتى اختار لها عنوان (**الطريق إلى أكتوبر**) وتناول فيها الفترة التى أعقبت هزيمة ١٩(٦٧) نلاحظ تركيز (هيكل) الشديد على الصراعات داخل النظام السياسى المصرى في السنوات الأخيرة من حكم الرئيس (جمال عبد الناصر).. وإصراره على تقسيم رجال الرئيس (عبد الناصر) إلى معسكرين:

- معسكر يدعو إلى الحرية ورفع القيود وتخفيف قبضة النظام الأمنية وتحييد الولايات المتحدة الأميركية على رأسه هو نفسه.. ومعه (السادات).
- ومعسكر آخر يدعو إلى التشدد والثورة الشاملة.. وعدم المهادنة مع أعداء الثورة في الداخل والخارج.. وتوثيق العلاقات مع السوفيت.. وهذا الفريق كان على رأسه علي صبري.. وشعراوى جمعة.. وسامي شرف.

obeikandl.com

ويستطرد (هيكل) في تلك الحلقات لتبيان كيفية تصديه لمخططات معسكر التشدد وذلك عبر تأثيره على أفكار وقرارات الرئيس (جمال عبد الناصر).

أخطاء متعمدة

كما أن المتابع للحلقات سيلاحظ أخطاءاً عديدة في تواريخ الوقائع.. وأسماء الشخصيات.. لأنه هنا يبرر مواقفه.. ولا يؤرخ للأحداث كما حدثت بالفعل.

تنظيم القضاء

فمثلاً موضوع تنظيم القضاء واعتقال الدكتور جمال العطيفي[1] الذي تم اعتقاله في يناير ١٩٦٩ وأُفرِجَ عنه بعد بضعة أيام.. بينما تم تشكيل لجان تنظيم القضاء في أواخر يوليو ١٩٦٩ وكانتا لجنتان في بادئ الأمر إلى أن اقنع (هيكل) الرئيس (عبد الناصر) بأن يرأس (السادات) لجنة موحدة وأن ينضم الدكتور جمال العطيفي لها.. وفعلاً تم ضم اللجنتين.. وانضم العطيفي للجنة الموحدة.. ولم يصطدم مع أعضائها إطلاقاً.

وبخصوص انتخابات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي فقد حصل علي صبري على أعلى نسبة من الأصوات بلغت ١٣٤ صوت.. بينما حصل (السادات) على ١١٨ صوت.. وجاء ترتيبه الرابع في عدد الأصوات.

وعندما سأل الرئيس (عبد الناصر) شعراوي جمعه[2] عن سر تراجع أصوات المؤيدين للسادات قال شعراوي جمعه للرئيس:

- لقد فعلنا المستحيل مع الأعضاء حتى يصل (السادات) لتلك النسبة.

وكان رد الرئيس (عبد الناصر): طيب لو كنتم ما عملتوش المستحيل كان جرى إيه؟..

وضحك الرئيس (عبد الناصر).. وركب سيارته مغادراً مبنى الاتحاد الاشتراكي وبجواره كان يجلس (السادات) الذي كان يستمع صامتاً لهذا الحوار.

---

(١) الدكتور جمال العطيفي وزير إعلام مصري سابق.. ينتمى لعائلة الأشراف بمركز أبوتيج.. حصل على دكتوراه في علوم القانون.. توفي عام ١٩٨٣..

(٢) شعراوي جمعه شغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية في عهد عبد الناصر.. لم يكن من بين الضباط الأحرار.. مقرر اللجنة التنفيذية العليا والمسئول عن التنظيم الطليعي.. عمل نائب مدير المخابرات العامة ١٩٥٧ - ١٩٦١.. محافظ السويس ١٩٦١ - ١٩٦٤.. أمين عام الاتحاد الاشتراكي ١٩٦٩. أنشأ مدرسة أمناء الشرطة عام ١٩٦٧حوكم عليه عام ١٩٧١ في ثورة التصحيح .

(هيكل).. والفريق فوزي

وبخصوص الفريق محمد فوزى[1] سوف نلاحظ في قراءتنا لحلقات التجربة إصرار (هيكل) على تهميش دور فوزى لصالح التركيز على دور الفريق الشهيد عبد المنعم رياض[2] الذي لا يستطيع أحدٌ أن ينكر دوره في التخطيط وإعادة البناء للقوات المسلحة

---

(١) الفريق أول محمد فوزي قائد الجيش المصري ومهندس حرب الاستنزاف ١٩٦٧-١٩٧٣وُلد عام ١٩١٥م بمحافظة المنوفية في مصر.. وهو من أصول شركسية كان والده ضابطاً كبيراً في الجيش المصري ومديرا لسلاح المدفعية وكان جده ياوراللخديوي حاكم مصر.. تدرّج في الرتب العسكرية في القوات المسلحة المصرية وعمل فترة طويلة كبيرا للمعلمين بالكلية الحربية المصرية ثم أصبح مديرا للكلية.. كان رئيساً للأركان في الجيش المصري أثناء حرب يونيو ١٩٦٧تولّى قيادة الجيش المصري خلفاً للمشير عبد الحكيم عامر القائد العام للجيش المصري بعد النكسة..حيث عينه الرئيس جمال عبد الناصر قائدا أعلى للجيش المصري ثم عينه وزيرا للحربية عام ١٩٦٨ ويعزى إليه الفضل في إعادة تنظيم صفوف الجيش المصري بعد النكسة وبناء حائط الصواريخ المصرية ضد إسرائيل والذي استُعمل بكفاءة في ايقاع خسائر جسيمة في صفوف العدو الإسرائيلي في الحرب التي سُمّيت بحرب الاستنزاف في الفترة ١٩٦٧م-١٩٧٣ عُزل الفريق أول محمد فوزي عن منصبه بعد وصول الرئيس السادات للحكم خلفاً للرئيس جمال عبد الناصر ثم جرى اعتقاله مع عدد كبير من كبار المسؤولين السابقين في عهد الرئيس جمال عبد الناصر بتهمة التآمر ضد السادات فيما عُرف بانقلاب مايو ١٩٧١ وتمّت محاكمته أمام محكمة عسكرية ورغم أن الرئيس السادات كان قد أصدر قراراً بإعدامه إلا أنّ المحكمة العسكرية رفضت الحكم عليه بالإعدام على أساس أن قائد الجيش لا يُعدم إلا بتهمة الخيانة العظمى أوالاتصال بالعدو أثناء الحرب وقد تم إطلاق سراحه بعد فترة.. كان منضبطاً إلى حد كبير .. وكان دائماً محل التقدير والاحترام من الجميع.. توفي يوم السادس عشر من فبراير سنة٢٠٠٠ .

(٢) الفريق أول عبد المنعم رياض واحداً من أشهر العسكريين المصريين في النصف الثاني من القرن العشرين ..شارك في الحرب العالمية الثانية ضد الألمان والطاليان بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ وشارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ والعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ونكسة ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف.. ولد الفريق محمد عبد المنعم محمد رياض عبد الله في قرية سبرباى بمحافظة الغربية في ٢٢ أكتوبر ١٩١٩ونزحت أسرته إلى الفيوم.. .وكان والده القائم مقام (العقيد) محمد رياض عبد الله قائد بلوكات الطلبة بالكلية الحربية وتخرج على يديه كثيرون من قادة المؤسسة العسكرية.. التحق في البداية بكلية الطب بناء على رغبة أسرته.. ولكنه بعد عامين فضل الالتحاق بالكلية الحربية التي كان متعلقا بها..ونال شهادة الماجستير في العلوم العسكرية عام ١٩٤٤ وكان ترتيبه الأول.. في عام ١٩٤١ عين بعد تخرجه في سلاح المدفعية.. .وألحق بإحدى البطاريات المضادة للطائرات في المنطقة الغربية ..حيث اشترك في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا وإيطاليا.. رقي في عام ١٩٦٦ إلى رتبة فريق.. وأتم في السنة نفسها دراسته بأكاديمية ناصر العسكرية العليا.. وحصل على زمالة كلية الحرب العليا.. وحينما اندلعت حرب ١٩٦٧ عين الفريق عبد المنعم رياض قائداً عاماً للجبهة الأردنية.. وفي ١١ يونيو ١٩٦٧ اختير رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية فبدأ مع وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الجديد الفريق أول محمد فوزي إعادة بنائها وتنظيمها.. وفي عام ١٩٦٨ عين أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية.. حقق عبد المنعم رياض انتصارات عسكرية في المعارك التي خاضتها القوات المسلحة المصرية خلال حرب الاستنزاف مثل معركة رأس العش التي منعت فيها قوة صغيرة من المشاة سيطرة القوات الإسرائيلية على مدينة بورفؤاد المصرية الواقعة على قناة السويس وذلك في آخر يونيو ١٩٦٧.. وتدمير المدمرة الإسرائيلية إيلات في ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ وإسقاط بعض الطائرات الحربية الإسرائيلية خلال عامي ١٩٦٧ و

المصرية بعد النكسة.. ويكفي الفريق رياض ويغنيه وضعه للخطة (جرانيت) التى تم تنفيذ الجزء الأول منها بتعديلات الفريق الشاذلى يوم العبور.. كما أن استشهاده البطولى كرس صورته كرمز خالد للعسكرية المصرية والعربية.. ولكن هذا لا ينفي دور وجهد الفريق محمد فوزى في عملية إعادة البناء والتخطيط للتحرير.. ولكن نلاحظ أن (هيكل) لم يستطع تجاوز خلافاته الشخصية مع الفريق فوزى والتى حدثت عندما كتب الأستاذ (هيكل) مقاله الشهير (**تحية للرجال**) وجاء فيه أنه يستحيل عبور القناة إلا بقنبلة ذرية.

وقد أثار هذا المقال العديد من ردود الأفعال الغاضبة بين صفوف الجيش المصري لنبرة كاتبه الإنهزامية في وقتٍ كانت معنويات الجنود وتفاءلهم بدخول المعركة على أشدها.. فماذا قال (هيكل) في هذا المقال.. لنقرأه.. لنتبين أكثر حقيقة الموقف:

١٩٦٨ وتنبأ الفريق عبد المنعم رياض بحرب العراق وأمريكا حيث قال ان بترول أمريكا سوف يبدأ في النفاذ وستتطوق الي بترول العراق خلال ٣٠ عام تقريبا.. أشرف على وضع الخطة المصرية لتدمير خط بارليف.. خلال حرب الاستنزاف.. ورأى أن يشرف على تنفيذها بنفسه وتحدد يوم السبت ٨ مارس ١٩٦٩م موعداً لبدء تنفيذ الخطة.. وفي التوقيت المحدد انطلقت نيران المصريين على طول خط الجبهة لتكبد الإسرائيليين أكبر قدر من الخسائر في ساعات قليلة وتدمير جزء من مواقع خط بارليف وإسكات بعض مواقع مدفعيته في أعنف اشتباك شهدته الجبهة قبل معارك ١٩٧٣ في صبيحة اليوم التالي (الأحد ٩ مارس ١٩٦٩) قرر عبد المنعم رياض أن يتوجه بنفسه إلى الجبهة ليرى عن كثب نتائج المعركة ويشارك جنوده في مواجهة الموقف.. وقرر أن يزور أكثر المواقع تقدماً التي لم تكن تبعد عن مرمى النيران الإسرائيلية سوى ٢٥٠ متراً.. ووقع اختياره على الموقع رقم ٦ وكان أول موقع يفتح نيرانه بتركيز شديد على دشم العدو في اليوم السابق.. وشهد هذا الموقع الدقائق الأخيرة في حياة الفريق عبد المنعم رياض.. حيث انهالت نيران العدو فجأة على المنطقة التي كان يقف فيها وسط جنوده واستمرت المعركة التي كان يقودها الفريق عبد المنعم بنفسه حوالي ساعة ونصف الساعة إلى أن انفجرت إحدى طلقات المدفعية بالقرب من الحفرة التي كان يقود منها المعركة ونتيجة للشظايا القاتلة وتفريغ الهواء توفي عبد المنعم رياض بعد ٣٢ عاما قضاها عاملاً في الجيش متأثرا بجراحه. وقد نعاه الرئيس جمال عبد الناصر ومنحه رتبة الفريق أول ونجمة الشرف العسكرية التي تعتبر أكبر وسام عسكري في مصر.. واعتبر يوم ٩ مارس من كل عام هو يومه تخليداً لذكراه كما أطلق اسمه على أحد الميادين الشهيرة بوسط القاهرة وأحد شوارع المهندسين (وأكبر شارع ببلبيس سمى باسمه).

تحية للرجال

بقلم: (محمد حسنين هيكل)

❖❖❖

لقد كان لابد اليوم من وقفة بالتحية أمام الرجال الذين قد يضع التاريخ في أيديهم ومع أى لحظة.. مسئولية وواجب القتال من أجل التحرير.

وبعد هذه الوقفة.. نعود في الأسبوع القادم – بإذن الله - إلى بقية حديث متصل عن "تأملات حول الصراع الكبير" لابد لى اليوم من وقفة بالتحية.. أمام هؤلاء الذين يحملون الآن أغلى أمانة في تاريخ مصر.

هؤلاء الذين صدرت إليهم الأوامر ليكونوا على استعداد دائم.. يصل الليل بالنهار.. والنهار بالليل.. تحسباً للحظة قد تجىء في أى وقت.

هؤلاء الذين سوف ينطلقون مع عواصف النار والدخان والرعود الداوية والبراكين الهادرة على الأرض والصواعق الطائرة في السماء.

هؤلاء العاملون في صمت.. المقتحمون في جسارة.. المضحون في جلال.. الزاحفون.. برغم كل شىء.. إلى هدف يتحتم بلوغه لأن أمن مصر وقدر مصر ومستقبل مصر معلقٌ به.

وأمن مصر وقدرها ومستقبلها.. هى نفسها.. أمن وقدر ومستقبل أمة بأسرها تعيش نقطة فاصلة في تاريخها.

هؤلاء الرجال على جبهة القتال المصرية لا تكفي لتحيتهم اليوم عيون القصائد من دواوين الحماسة.. ولا تنصفهم منابر الخطابة مهما اهتزت وارتجت عاطفةً وانفعالاً.

شىء واحد قد يكفي في ظنى وقد يفي.. وهو أن يكون شعبهم وأن تكون أمتهم على علم وبينة بالصورة العامة التى سوف يمارسون فيها دورهم الوطنى والقومى.. ذلك أنه بالقياس إلى حجم المهمة وظروفها.. تبدو قيمة الجهد وتكاليفه.

وهذا ما أحاوله في هذا الحديث.. وبالقدر الذي تسمح به متطلبات الأمان وهذه لها أولوية لا يسبقها اعتبار آخر.

أولاً:

إن القوات المسلحة المصرية تواجه معركة من أصعب معارك التاريخ.. وليست هذه صيغة مبالغة.. وإنما هى وصف حقيقة.

وعلينا أن نتمثل أمامنا طبيعة الأرض التى قد يجد الجيش المصرى نفسه أمامها.. ثم ما أقامه العدو من مواقع على هذه الأرض استغلالاً لطبيعتها..إذا فعلنا ذلك فسوف نجد معالم الصورة تطالعنا على النحو التالى:

- مانع مائى خطير هو قناة السويس.
- كثبان رملية على شاطئها الشرقى مباشرة تجمعت وتراكمت بالظروف الطبيعية.. ثم أضافت إليها عمليات التطهير المستمرة في قناة السويس.. وكانت دائماً تلقى بقاياها فوق الناحية الأخرى.. وعلى هذه الكثبان أقام العدو خطه الدفاعى الأمامى على حافة الماء مباشرةً.
- منطقة رمال مفتوحة بعد ذلك ولكنها محاصرة بين شاطئ القناة.. وبين بداية المرتفعات نحو منطقة المضايق الحاكمة في سيناء والتى لا تبعد عن القناة نفسها بأكثر من ثلاثين كيلو متراً.
- منطقة المضايق نفسها وهى طبيعة صخرية شديدة الوعورة وعليها أقام العدو خط دفاعه الثانى.
- الصحراء المكشوفة حول منطقة المضايق وما وراءها بما تقدمه من فرص لعدو يعتمد كثيراً على الطيران.

هذه هى طبيعة الصورة التى يجب أن نتمثلها تماماً ونتفهم تفاصيلها لأن ذلك سوف يتحدث عن الجهد البطولى لرجالنا بأكثر مما تتحدث عنه الكلمات حتى إذا كنا ننحت هذه الكلمات من صميم القلوب.

تبقى الطبيعة أبلغ دائماً من كل الأوصاف.

نلقى نظرات أكثر تأنياً على أهم هذه المعالم التى صنعتها الطبيعة أو أقامها العدو استغلالاً لهذه الطبيعة... وبالذات قناة السويس والشاطئ الآخر.

<u>قناة السويس.</u>

١. مجرى مائى بعرض مائتى متر وبعمق أحد عشر متراً يمتد على خط مستقيم بين بحر وبحر.. لا يتعرج مجراه ولا يدور.. لا يرتفع منسوب الماء في مكان منه أو ينخفض في مكان آخر.. وإنما مستوى واحد على طول الخط الذي رسم وشق وسط الصحراء.. وليس هناك فوق هذا المجرى جسر أو معبر واحد.

٢. ومن هنا فإن ثُقاة العسكريين في الغرب وفي الشرق يعتبرون مجرى قناة السويس واحداً من أهم الخطوط الدفاعية الطبيعية في العالم من حيث كونه مانعاً ضخماً أمام المدافع عائقاً ضخماً بنفس المقدار أمام المهاجم.

الشاطئ الآخر.

١. على حافة الماء مباشرةً وعلى الكثبان الرملية أو تحتها بمعنى أصح أقام العدو خط دفاعه الأول تعزيزاً لدور المانع الطبيعى وهو قناة السويس.
٢. كان العدو قد بنى على هذا الشاطئ ما عرف في مرحلة سابقة باسم خط بارليف.. وشلت المدفعية المصرية هذا الخط.. وفكت تماسكه.. ولكن العدو أعاد بناء هذا الخط في الشهور الأخيرة وعلى صورة مغايرة تماماً للخط القديم.

وتقول تقديرات مراكز الدراسات العسكرية في عواصم الغرب أن إسرائيل صرفت على إعادة بناء هذا الخط خلال الشهور الستة الماضية مبلغاً يزيد على مائتى مليون جنيه إسرائيلى "أى حوالي ثلاثين مليون جنيه إسترلينى" وكان السبب فيما يقدر خبراء هذه المراكز هو أن إسرائيل بعد إتمام بناء شبكة الصواريخ المصرية غيرت تخطيطها للمعركة القادمة.

- قبل عدة شهور كان تخطيطها أن تحارب معركتها ضد أى عملية عبور مصرية في منطقة الرمال المحصورة بين كثبان شاطئ القناة الشرقى وبين صخور الممرات.
- كانت مهمة خط بارليف في تلك المرحلة هى تعويق أى عبور مصرى.
- أما الطيران الإسرائيلى فكانت عليه مهمة التصدى لقوات العبور المصرية أثناء تقدمها بعد ذلك لمحاولة ضربها.
- وبعد إتمام بناء شبكة الصواريخ المصرية غيرت إسرائيل تخطيطها وأصبح قرارها - فيما يقدره خبراء المراكز العسكرية في الغرب- أن تكون المعركة الكبرى ضد قوات العبور المصرية على حافة الماء مباشرة بواسطة التحصينات وبواسطة المدرعات وراء هذه التحصينات.

ومن هنا أعيد بناء خط بارليف وفق التصور الجديد للمعركة.. ومعنى ذلك أن الجيش المصرى في تقدمه سوف يواجه ما لم يواجهه جيش من قبل.. وأظنها سوف تكون - فيما أذكر - أول مرة في تاريخ الحروب يواجه أى جيش أمامه:

- مانعاً أو عائقاً طبيعياً صعباً مثل قناة السويس.
- ثم خطاً دفاعياً أقيم على حافتها مباشرةً وهو خط بارليف في وضعه الجديد.

من قبل واجهت الجيوش المتحاربة في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية عوائق مائية.. نهر "الفولجا" في الشرق أو "الراين" في الغرب مثلاً – ولكن هذه الأنهار الطبيعية لا تشابه.. ولا تقارب قناة السويس عمقاً.. أو عرضاً.. أو مجرى.

ومن قبل واجهت نفس الجيوش المتحاربة في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية خطوطاً دفاعية حصينة.. خط "ماجينو" الذي أقامته فرنسا أو خط "سيجفريد" الذي أقامته ألمانيا مثلاً.. ولكن هذه الخطوط الحصينة لم تكن قابعة على حافة مانع مائى خصوصاً إذا كان هذا المانع هو قناة السويس.

إذا ألقينا بعد ذلك نظرة على منطقة الرمال المفتوحة فيما يلى الكثبان الرملية المطلة على حافة قناة السويس.. فإن هذه الأرض المحصورة ـ بين كثبان الرمال وبين مرتفعات منطقة المضايق ـ هى الأرض التى كان العدو في مرحلة سابقة من تخطيطه يريدها مسرحاً أساسياً لعربدة طيرانه ضد قوات أى عبور مصرى.

وبعد إتمام تركيب شبكة الصواريخ المصرية غير العدو تخطيطه لأن مدى هذه الصواريخ يمكن أن يغطى هذه المنطقة ويجعل عمل الطيران فوقها محفوفاً بالمخاطر.

وهكذا في التخطيط الجديد - فيما تقول مراكز الأبحاث في الغرب- نقل العدو مسئولية العمل في هذه المنطقة من الطيران إلى المدرعات.. وأصبح قراره أن يوجه الصدمة الأولى ضد قوات العبور المصرية من خط التحصينات على حافة القناة.. لكى تكون هذه التحصينات طبقاً للتصور الإسرائيلى بمثابة مصفاة.

وما ينفد من المصفاة تتلقاه قوات المدرعات في المنقطة المفتوحة المحصورة بين كثبان الرمال وبين بداية المرتفعات نحو المضايق.

والمضايق بعد ذلك هى خط الدفاع الثابت الثانى بعد الخط الأول المرتكز على حافة القناة.

ومنطقة المضايق سلاسل جبال تتشابك وتدور حول بعضها وهى في تقدير كل المهتمين بدراسة سيناء ـ المفتاح الرئيسى للسيطرة على هذه الصحراء المقدسة ـ وكانت منطقة المضايق هى هدف عملية الإنزال المشهورة في ممر ميتلا سنة ١٩٥٦ وكان الإنزال فيها ثنائى الهدف.

احتلالها ومنع الكتائب المصرية القليلة في سيناء وقتئذ من التمركز فيها لوقفة دفاعية تصد الجيش الإسرائيلى عن الوصول إلى قناة السويس.

ثم إن احتلالها إذا تم بعملية إنزال سريعة تعطى الإسرائيليين فرصة ليعلنوا أن قواتهم وصلت إلى بعد خمسة وثلاثين كيلو متراً من قناة السويس.. وكانت هذه هى الإشارة المتفق عليها لتتم المؤامرة الثلاثية.. ويعلن إيدن رئيس وزراء بريطانيا - ومولية - رئيس وزراء فرنسا - أن بلادهما سوف تضطر إلى التدخل لفصل المتحاربين حول القناة ولحماية هذا الممر الهام للملاحة العالمية.

وأما الصحراء المكشوفة من حول منطقة المضايق وما وراءها فليست عليها موانع طبيعية حتى بلوغها خط الحدود المصرية الدولى تقريباً.

وفي هذا الاتساع الصحراوى الشاسع والمفتوح فإن إسرائيل تعتمد على المناورة بالمدرعات وعلى تركيز الطيران.

هكذا فإن خطة الدفاع الإسرائيلى أصبحت تعتمد على خطين ثابتين:

الأول - القناة وخط بارليف..

والآخر - جبال المضايق.

كذلك فإنها تعتمد على منطقتين مكشوفتين لعمل المدرعات والطيران:

- أولاهما المنطقة المحصورة ما بين كثبان الشاطئ الشرقى إلى المضايق..
- والأخرى الصحراء المفتوحة من حول المضايق وما يليها.

هذه لمحات سريعة كأنها جوانب مشهد يلتقطه البصر في طرفة عين ويمضى بعده بسرعة إلى بقية مشاهد الصورة العامة التى سوف يمارس فيها الجيش المصرى دوره الوطنى والقومى.

ثانياً:

إن الجيش المصرى سوف يواجه المعركة وحده.

سوف تصدر بيانات تعلن عن رفع درجة الاستعداد في جيوش عربية أخرى.. وسوف تنطلق إعلانات تذيع أن قوات هذا البلد أو ذاك على استعداد للتوجه إلى ميدان القتال.

ولكن من سوء الحظ أن المعارك لا تُخاض بالبيانات والإعلانات.

ومن سوء الحظ أكثر أن هذه البيانات والإعلانات لا تساعد الجيش المصرى بقدر ما تساعد عدوه.

وللعقيد معمر القذافي في هذا التقليد العربى رأى نافذ ولعله رأى جارح يقول فيه:

- لماذا ندعى بعكس الحقيقة... لماذا لا نقول برجولة أن الجيش المصرى وحده في الميدان؟

المشكلة أننا حين نغالط وندعى بوجود غيره فإن كل ما نفعله هو أننا نوحى للعالم أن إسرائيل محاصرة بعدة جيوش وأن دولاً عديدة تكالبت عليها وبالتالى فإننا نفتح لها الباب لكى تشد غيرها معها في المعركة.

يبقى الجيش المصرى أمامها وحده.. وتستغل هى الأوهام التى نطلقها نحن فتجئ بغيرها يساعدونها بالطريق المباشر أو غير المباشر على أساس خرافة أن الأعداء أطبقوا عليها من كل جانب.

لماذا لا نقول الحقيقة ولو مرة واحدة.

ونقولها ولو حتى بالسكوت ما دمنا لا نملك غيره؟.

ثالثاً:

إن الجيش المصرى سوف يواجه الجيش الإسرائيلى بأكمله.. وكل المعلومات - مرة أخرى لدى مراكز الدراسات العسكرية في الغرب.. وفيها الثقاة والخبراء - تشير إلى أن ذلك هو المعنى.. الذي يمكن استخلاصه من توزيع القوات الإسرائيلية على الجبهات العربية.

- الجبهة الأردنية ليس عليها غير قوات الأمن الداخلى في إسرائيل.
- الجبهة السورية ليس عليها حتى هذه اللحظات غير لواء واحد.

والجبهة المصرية أمامها الآن في سيناء - غير ما يمكن دفعه بسرعة فائقة من القوات الاحتياطية - ما يلى:

- فرقتان من المشاة الميكانيكية (٣٥ ألف جندى).
- فرقة مدرعة أربعمائة دبابة بأطقمها.
- لواء قوات كوماندوز محمول جواً بالهليكوبتر (٧٠) طائرة هليكوبتر وثلاثة آلاف من قوات المظليين.
- مائة قاذفة ومقاتلة في مطارات سيناء القريبة.
- ما بين ثمانمائة إلى ألف مدفع ثقيل.

هذا غير قوات خط التحصينات القابع على حافة الماء مباشرةً وحقول ألغامه.. ونطاقات أسلاكه الشائكة.. وأسلحته.. وما زود هذا الخط نفسه به من المخترعات وحيل الخداع والتمويه.

وهذا أيضاً غير ما تستطيع إسرائيل دفعه بسرعة إلى مسرح العمليات المصرى في حالة اتساع مدى القتال واضطرارها إلى التعبئة الجزئية أو العامة.

وفي هذه الحالة فإن الجبهة المصرية سوف يكون عليها أن تتحمل طاقة ثلاث فرق مدرعة [١٣٠٠ دبابة] وخمس فرق من المشاة الميكانيكية.. وقوة السلاح الجوى الإسرائيلى كلها.. أى حوالى ٦٠٠ طائرة بينها الفانتوم وسكاى هوك والميراج وغيرها.

رابعاً:

أن الجيش المصرى سوف يقوم بما يتحتم عليه أن يقوم به.. ويواجه ما يتحتم عليه أن يواجهه بعد قرابة أربع سنوات حافلة.

- كان عليه في بدايتها أن يتحمل خطايا هزيمة لم يكن الذنب فيها على المقاتلين.. وتلك مسألة سوف يدور فيها بعد المعركة بحث طويل يضع الحق في مكانه.. ويكتب التاريخ كما ينبغى أن يكتب إنصافاً وانتصافاً.
- كان عليه أن يتحمل بعد ذلك استفزازات لا قبل لمقاتل شريف بتحملها ولكنه تقبلها بمنطق الكاظمين الغيظ انتظاراً للحظة يستطيع فيها أن يرد على النار بالنار.

ولكى يصحح تصوراً شاع.. جعل عدوه أسطورة وجعل منه هو عبرة.. والتصور بشقيه على غير أساس فلا عدوه يستحق أن يكون أسطورة ولا هو يستحق أن يكون عبرة !

وكان عليه فيما تلا ذلك أن ينصرف لعملية إعادة بناء نفسه واستيعاب سلاحه واستعادة الثقة في المثل الأعلى.

وكانت عملية إعادة البناء واستيعاب السلاح واستعادة الثقة.. في أصعب الظروف الطبيعية والإنسانية.. من تحمل قسوة الصحراء إلى تحمل سيطرة العدو الجوية على السماء.

وفي هذه الفترة واجه تجربة بالغة القسوة نفسها عليه.. تلك هي أن العدو راح يتجنبه وينفذ من فجوات بعيدة إلى عمق مصر.. يحاول منها أن يطول المرافق الحيوية أو يتجاوز ذلك إلى الإغارة على أهداف مدنية يقتل فيها الرجال والنساء والأطفال في المصانع وفي المزارع وفي المدارس.

وتوقفت قسوة التجربة النفسية.. تفسح الطريق لتجربة أخرى.

تحول العدو من غارات العمق وراء الجبهة وصب جنونه كله على شريط رفيع من الأرض بمحاذاة الشاطئ الغربي لقناة السويس.. وبعرض ثلاثين كيلو متراً بعد ذلك عمقاً.

على هذا الشريط المحدد وهو ركيزة الخط الأمامي من الجبهة المصرية كان متوسط غارات العدو اليومية ١٥٠ غارة.. وكان معدل القصف متوسطه ١٢٠٠ طن متفجرات كل يوم.. ولأكثر من مائة يوم متواصلة.

وكانت طاقة التحمل المصرى مجيدة حتى استطاعت طلائع شبكة الصواريخ أن تأتى بأسبوع "**تساقط الطائرات**" المشهور وهو الأسبوع الأول من يوليو ١٩٧٠.

ثم وجد نفسه مدعواً بالتطورات أن ينتقل من عصر إلى عصر في الحروب.. من عصر الحروب التقليدية إلى عصر الحرب بالإلكترونات.. ومن عصر الرؤية النهارية بالنظارات المكبرة إلى عصر الرؤية الليلية بالأشعة تحت الحمراء.

وفجأة - والدنيا هائجة مائجة - رحل قائده الأعلى.

إن الدنيا اهتزت كلها لرحيل (جمال عبد الناصر).. ولكن ما من مكان كان وقع الصدمة فيه مروعاً كما كان في الجبهة.

كانت الصلة بين (عبد الناصر) والمقاتلين صلة من نوع خاص.

كان المقاتلون يعرفون أن الرجل الذي يمسك في يده بزمام المعركة قادر على تحريك عوالم بأكملها وذلك عن طريق مكانته وشخصيته التاريخية التى تملأ منطقة الشرق الأوسط بأسرها وتؤثر منها على العالم.

كانت هناك هالة ثقة - صنعتها التجارب - تحيط به في كل وقت.. كان بشكلٍ ما رجل الأوقات العصبية.. وكان رجل المعجزة في زمان بعد عهده بالمعجزات.

لكن فترة الانتقال - من المعركة بوجود (عبد الناصر).. إلى المعركة على طريق (عبد الناصر)- مرت بأمان.

وكان مطالباً في النهاية بأن ينتظر السياسة تحل الأزمة - بالسلم - إذا لاح للسلم طريق.

أو تصدر إليه الأمر بالقتال.. إذا استحال طريق السلم.. وتكون على الأقل قد مهدت له الأجواء كي يؤدي مسئوليته في أكثر الظروف السياسية ملاءمةً لإنجاح مهمته.. ومع المراعاة الكاملة لإطار التوازن الدولى الراهن وهو إطار لا يستطيع أحد أن يتجاوزه بسهولةٍ أو بيسر.

خامساً:

وطول الطريق ومنذ البداية وإلى النهاية فإن الجيش المصرى كان يراوده إحساس أصيل بالانتماء إلى شعبه.. وكان شعوره عميقاً بمدى التضحيات التى قدمها هذا الشعب حتى من قوت يومه لكى يوفر للجيش كل ما هو ضرورى.

وكانت القوات تتشوق مرات كثيرة إلى خوض المعركة ولو قبل تمام الاستعداد لها لكى تختصر بعض العبء على الشعب.. وكانت في ذلك على استعداد لأن تدفع الفارق من تضحيات بالدم إذا دعا الأمر.

وذلك شعور لا يستطيع أن يحس به غير الذين يستطيعون أحياناً أن يلمسوا نبض المقاتلين ويتسمعوا بشفافية العاطفة على دقاته وخفقاته.

وتلك ميزة من ميزات جيش الشعب يختلف بها عن غيره فهو ليس جيش حزب.. ولا حزب جيش.. كما أنه ليس أداة قمع لسلطان.. أو طبقة فوق الطبقات.

وخلال الأيام الأخيرة.. ومنذ أعلن (أنور (السادات))في خطابه إلى الأمة يوم الأحد ٧ مارس "أنه قد جاءت اللحظة التى يتحتم فيها على كل مصرى أن يقف ليؤدى واجبه" فإن أمة بأسرها كانت تحاول من بعيد أن تصغى لأحاديث الجنود.. وكانت الأصداء

من هناك حماسة صافية.. حماسة الشجاعة المبرأة من كل أثر للمزايدة التى شوهت مع الأسف وجه النضال العربى المعاصر.. هناك لم تكن حماستهم مزايدة.. إنهم هناك على خط النار.. لا يزايدون.. لأنهم هناك على خط النار.

هنا انتهى مقال (هيكل) الذي نُشر بجريدة الأهرام في مارس من عام ١٩٧١ فماذا عن ردود أفعاله؟

اعتبر جميع الكتاب والصحفيين أن هذا المقال تعجيزياً للشعب و للجيش على السواء.. لدرجة أن أحدهم رد عليه بقسوة في مقالٍ آخر حمل اسم "**تحية (هيكل) مردودة إليه** " لمح فيها كاتب المقال بأن (هيكل) عميلاً للمخابرات الأمريكية.. ويثبط عزم الرجال علي جبهة القتال.. وتباري الجميع وخاصة كتاب مجلة الطليعة في الرد علي المقال الذي أعتبر في حينه حدثا سياسيا بارزاً.

ونلاحظ أن توقيت كتابة ونشر هذا المقال كان يسبق أحداث مايو ١٩٧١ و قيام (السادات) بما سماه "ثورة التصحيح"

سيبوا لى (هيكل).. أنا هتصرف معاه

كما حدثت ردود فعل عنيفة داخل القوات المسلحة بعد المقال.. ولكى يمتص الفريق فوزى مشاعر غضب العسكريين.. قال في أحد اجتماعاته مع كبار القادة العسكريين (سيبوا لى (هيكل).. أنا هتصرف معاه).. ونقل الفريق محمد صادق ما دار في هذه الجلسة للأستاذ (هيكل) بطريقة استفزت (هيكل).. وجعلته يتوجس من نوايا الفريق فوزى ضده.. فحملها الأستاذ (هيكل) في نفسه.. ويبدو أنه لم ينساها حتى الآن.

هو ورجال الاتحاد الاشتراكي

كان لـ (هيكل) خلافاته العميقة مع رجال الاتحاد الاشتراكى.. ومنظمة الشباب.. وقد لعب (هيكل) دوراً خطيراً في الهجوم على تنظيم الاتحاد الاشتراكى.. وإبراز سلبياته والتهوين من شأنه..

❖❖❖